المقاومة الأحوازية... تاريخ من النضال

يوسف شرف الدين

حرس الأمير خزعل الكعبي قاموا بأول ثورة بعد 3 أشهر فقط من الاحتلال

■■ خضع إقليم الأحواز العربي للاحتلال الإيراني بتآمر من بريطانيا في إبريل عام ١٩٢٥. ويعتقد البعض أن الأحوازيين لم يُبدوا أي مقاومة بعد أن سقط الإقليم في يد المحتل الفارسي، إلا أن الحقيقة غير ذلك، فقد قامت العديد من الانتفاضات والثورات في مواجهة الاحتلال الإيراني الذي مارس ضد الإقليم وسكانه من العرب سياسة «الأرض المحروقة»، فقام بتدمير القرى والمدن والبلدات العربية، وتم إعدام المئات من الشباب الأحوازي دون أي محاكمة من أجل إرهاب باقي السكان.

وتنوعت المقاومة الأحوازية بين حمل السلاح والعمل السياسي، والذي بدأ متأخرا عن العمل المسلح، فبعد مرور ٣ أشهر فقط على ضم السلطات الإيرانية للإقليم قسرا، قام جنود الشيخ خزعل الكعبي وحرسه الخاص، بثورة في ٢٢ يوليو ١٩٢٥ بقيادة كل من قائدي الجند «شلش» و«سلطان»، رداً منهم على أسر شيخهم واحتلال إمارتهم العربية.

وأرغمت هذه الثورة المسلحة أفراد الجيش الإيراني على الفرار إلى الكويت، وهكذا، سيطر الثوار على مدينة «المحمرة» عاصمة الإقليم لعدة أيام، ثم قامت السلطات الإيرانية بقصف المدينة من كل جوانبها بالمدفعية، حتى استطاعت إخماد هذه الثورة وقتل قادتها جميعا بلا رحمة، بعد أن دمروا الحامية الفارسية في المدينة.

بريطانيا تقتل الثوار

على أثر فشل هذه الثورة الأحوازية الأولى وانتفاضتها الباسلة ضد الاحتلال، خيّمت أجواء من الإرهاب الشديد على الأحواز، وألقت السلطات الفارسية القبض على مئات الشبان العرب ممن شاركوا في الثورة أو دعموها، وحاكمت عدداً كبيراً منهم، وأعدمت العشرات دون محاكمة، فتجمع الثوار الأحوازيون في جزيرة «شلحة» القريبة من

«شط العرب» بهدف الهجوم مجددا على المحمرة واستعادتها من أيدي الاحتلال الفارسي، إلا أنه بطلب الحاكم العسكري الإيراني في الأحواز، هاجمت القوات البحرية البريطانية المتمركزة في «شط العرب» هذا التجمع، وقضت عليه تماما بعد مقاومة عنيفة.

وعلى إثر ذلك، قاد الشيخ عبد المحسن الخاقاني مع بعض رفاقه انتفاضة شعبية مسلحة أخرى في العاصمة «المحمرة» وتوسعت هذه الانتفاضة لتشمل عددا من مدن الأحواز الأخرى، وطالب «الخاقاني» بإرجاع الشيخ الأمير «خزعل» الذي أقتيد إلى السجن في طهران.

وفي عام ١٩٢٨، قاد الشهيد محيي الدين الزئبق شيخ عشائر الشرفة، الثورة المعروفة باسم «ثورة الحويزة» وشكل «الزئبق» ورفاقه من المناضلين حكومة وطنية دامت ستة أشهر، فحاصر الجيش الإيراني مدينة «الحويزة» ومنع وصول المؤن إليها ثم هاجمها بكل صنوف الأسلحة الفتاكة، وقتل عشرات الثوار بكل وحشية.

ووقعت عام ١٩٤٠ انتفاضة شعبية كبرى بقيادة عشيرة كعب الدبيس، حيث قامت هذه العشيرة العربية بانتفاضتها الشعبية المسلحة والواسعة بقيادة زعيمها الشيخ حيدر الكعبي، في منطقة «الميناو» على نهر دبيس، وتمكنت العشيرة من قتل أفراد الحاميات الفارسية والسيطرة على ثكناتها في المنطقة، وسط مشاركة شعبية واسعة من سكان الإقليم الذين انتفضوا تأييدا للثوار.

ولم تستطع سلطات الاحتلال الفارسي القضاء على هذه الثورة المسلحة إلا بعد هجوم عسكري بشع وهمجي أسفر عن اعتقال الشيخ حيدر الكعبي ورفاقه وأعدمتهم جميعا بدم بارد في سجن قلعة «سهر الشهداء».

ورغم ذلك، لم يكف الشعب العربي الأحوازي الأبيّ عن النضال والمقاومة، ففي عام ١٩٤٣ تزعم الشيخ جاسب بن الشيخ خزعل الكعبي ثورة جديدة ضد الفرس، حين دخل الإمارة وحرض بعض القبائل العربية بالاتفاق مع رؤساء العشائر الأحوازية على إعلان الانتفاضة المسلحة. وقد تمكن المنتفضون من قتل العديد من الجنود والضباط الإيرانيين، كما

تمكنوا من إسقاط إحدى الطائرات الحربية التي قصفت عشرات القرى ودمرت مئات المنازل.

أخطر الانتفاضات الأحوازية

يقول المؤرخ المعروف الدكتور علي الوردي إنه في عام ١٩٤٥ وقعت واحدة من أخطر الانتفاضات في تاريخ الأحواز وهي انتفاضة «بني طرف» التي امتدت شراراتها إلى القبائل العربية الأخرى، فسيطرت العشائر الثائرة على جميع القرى والمخافر والمدن المنتشرة في مناطقها، ودامت هذه الانتفاضة بضعة أشهر، فسيرت لها الحكومة الفارسية جيشا كبيراً، وقد واجه الجيش المحتل مقاومة شديدة عند اجتيازه المناطق الأحوازية الواقعة تحت سيطرة المنتفضين، نظراً للتحصينات المحكمة التي أقاموها وطبيعة الأرض التي تكثر فيها الأنهار والمستنقعات وبساتين النخيل، ما تعذر معه على الجيش الفارسي أن يحرك آلياته وينقل أسلحته الثقيلة، فأرسلت الحكومة الفارسية طائرات مقاتلة قامت بقصف القرى وتجمعات العشائر وحرق البيوت وإبادة المزارع وحرق المزروعات وقتل أبناء الشعب الأحوازي عشوائياً.

وكانت مجزرة إرهابية شنيعة وهمجية ورهيبة راح ضحيتها آلاف الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ والرجال، حيث كان التكافؤ في القوة العسكرية بين الطرفين معدوما تقريباً إلا من الإرادة الوطنية الصلبة للمنتفضين. وعند تغلب القوات النظامية وسلاح الجو الفارسي على المنتفضين من أبناء شعبنا العربي الصامد في الأحواز، قامت السلطة العنصرية الفارسية بترحيل ١٥٠٠ مواطن أحوازي إلى شمال فارس، مشياً على الأقدام تحت تهديد السلاح، وإعدام العشرات،وقد إجتاز العدو الفارسي بكل الأسرى والمعتقلين أولئك الجبال الوعرة والوديان العميقة، فمات أكثرهم في الطريق بسبب الجوع والإنهاك والبرد،ولم يصل منهم إلى طهران سوى حوالي الأربعين مواطناً أحوازياً وزعتهم السلطات الإيرانية على القرى النائية.

ولعلّ أهم وابرز المنعطفات التي شهدتها الأحواز تتمثل في «انتفاضة نيسان الأحوازية» التي فجّرتها الجماهير الأحوازية في ١٥ أبريل ٢٠٠٥ كنتيجة طبيعية لثمانية عقود من جرائم الاحتلال الإيراني للأحواز.

وكان من أهم أسباب اندلاع «انتفاضة نيسان» تلك الوثيقة السرية التي صدرت عن مكتب الرئيس الأسبق محمد خاتمي، وتنص على ضرورة تهجير ثلثي سكان الأحواز وتوزيعهم على مختلف المناطق الإيرانية بغية «تفريسهم» وإحلال أعداد مماثلة محلهم في الإقليم لتفريس ما تبقى منهم.

وكان رد القوات الإيرانية بالقمع الإجرامي ضد الشعب العربي الأحوازي مما أدى إلى سقوط أكثر من ٥٠٠ شهيد في ساحات الاحتجاج السلمي والكفاح الوطني العادل من أجل مطالب وطنية أحوازية وسياسية عادلة، ووقوع آلاف المحتجين في قبضة الاعتقالات الفارسية التي واجهت حملات إعدام العشرات منهم مما فتح آفاقاً جديدة للكفاح الوطني العادل .

أما آخر الانتفاضات فهي الانتفاضة الكبرى التي وقعت في مارس الماضي، حيث شهدت الأراضى الأحوازية العربية المحتلة واحدة من أضخم الحركات الاحتجاجية فى تاريخ الإقليم، والتى تعد ثانى أضخم حركة بعد انتفاضة العام ٢٠٠٥،أى منذ نحو ١٣ عاما.

اندلعت التظاهرات بسبب برنامج تليفزيوني خاص للأطفال تحت عنوان «القبعة القرمزية» بثته القناة التلفزيونية الثانية الرسمية بمناسبة أعياد رأس السنة الإيرانية «النوروز» تضمن فقرة استعراضية دعائية تتجاهل الوجود العربي بشكل كامل في منطقة الأحواز.

ويقول الباحث جمال الدين إسماعيل أبو حسين، إن المواقف العربية والإقليمية من قضية النضال الأحوازي ضد المحتل الإيراني، تتسم في الأغلب الأعم بالسلبية والتجاهل، باستثناء موقف الرئيس المصري الأسبق الراحل جمال عبد الناصر، عندما طلب من جامعة الدول العربية في ديسمبر ١٩٦٤ تشكيل لجنة تقوم بإدارة وبحث أوضاع الخليج العربي، ومن ضمنه إقليم الأحواز. غير أن الأمر انتهى عند هذا الحد، وطوى الإهمال قضية الأحواز مرة أخرى.

الشهيد محيي الدين الزئبق

قاد «ثورة الحويزة» وشكّل ورفاقه

حكومة وطنية دامت 6 أشهر